﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾

[طه: 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

أول الواجبات معرفة الله فتوحيده فعبادته

لما خُتمتِ الآيةُ السَّابقة بقوله: ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾، جاءت هذه الآية عقيبها بما يفسّر الوحي، الذي جاء "بأوّل الواجبات، وهو معرفة الله تعالى، فقال مؤكّدًا لعِظَم الخبر وخروجه عن العادات ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾: أصل العبوديّةِ الخضوعُ والتّذلُّل[2]، والعبادة: الطَّاعة، يقال: عَبَد يَعْبُد عبادةً، لمن يعبد الله فقط، ومَن عَبَد مِن دونه إلهًا فهو من الخاسرين[3]، وعَبَد اللّهَ يَعبُده عبادة: تألَّهَ له[4].

2) ﴿وَأَقِمِ﴾: القيام: نقيض الجلوس[5]، وأقام الشَّيءَ: أدامه، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: 3][6]. "وكلُّ مَن ثبت على شيء وتمسَّك به فهو قائم عليه"[7].

3) ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾: الذِّكْر والذِّكرَى: خلافُ النِّسيان، وهو الحفظ للشَّيء وتذكُّرُه[8]، والذِّكْر: الصَّلاةُ لله تعالى والثَّناءُ والدُّعاء له[9]، ومِن أنواع الذِّكْر: الصَّلاةُ، وقراءةُ القرآن، والتَّسبيحُ، والدُّعاءُ، والشُّكرُ، وجميعُ الطَّاعات[10].

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 14.
(2) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (عبد).
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (عبد).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (عبد).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (قوم).
(6) الجوهريّ، الصّحاح، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (قوم).
(7) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (قوم).
(8) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (ذكر).
(9) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ذكر).
(10) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ذكر).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التّفرّد بالألوهيّة يستوجب العبوديّة

يقول تعالى: إنّني أنا المعبودُ الذي لا تصلح العبادةُ إلَّا له، لا إلَهَ إلَّا أنا، فلا تعبد غيري، فإنّه لا معبودَ تجوز أو تصلح له العبادةُ سواي، فأخلص العبادةَ لي دونَ كلّ ما عُبِد من دوني[1]، واجعل الصّلاة هي العبادة التي تذكرني بها[2]، فإن ذِكْري كما ينبغي لا يتحقّق إلَّا في ضمن العبادةِ والصّلاة، أو لتذكُرني فيها لاشتمالها على الأذكار، أو لذكري خاصّةً لا تشوبُه بذِكر غيري، أو لإخلاص ذِكري وابتغاءِ وجهي، لا تُرائي بها ولا تقصِدُ بها غرضًا آخرَ، أو لتكون ذاكرًا لي غيرَ ناسٍ[3]، وإذا تحقّق التّفرّد بالألوهيّة فقد وجبتِ العبوديّة، وقد جاء المعنى على طريق المقدّمة والنّتيجة.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّة فصل قوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ عن سابقه:

أوّل واجب على المكلّفين هو التّوحيد؛ فإنّه حقُّ الله على العبيد

وقع قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ موقع البدل من ﴿لِمَا﴾ في قوله سبحانه: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[4]، فالموحَى قولُه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ إلى آخر الآيات، وقد جاء ذلك تبيينًا وتفسيرًا للإبهام في قوله: ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾، فبينَ الجُملتين كمالُ اتِّصال؛ لوقوع الثّانية بدلًا منَ الأولى، وكمال الاتِّصال من دواعي الفصل، أو أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ ناشئ عن سؤال مقدَّر، فكأنَّه قيل: ما الذي يوحَى؟ فكان الجواب: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[5]، غير أنَّ حمله على البدل أولى، ذلك أنَّ اللّه تعالى عظَّم أمرَ التّوحيد وفخَّم شأنه بالإبهام

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 283، 284.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 8/ 785.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 8.
(4) الخطيب الشّربينيّ، السّراج المنير: 2/ 453، وابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 378، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 199.
(5) محمود صافي، الجدول: 8/ 353.

في قوله: ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾، والتَّوضيح بقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾، وبالإبدال الدَّالِّ على أنَّ الوحيَ مقصورٌ على تقرير التَّوحيد، الذي هو نهاية العِلْم المُستلزِم لتخصيص العبادة بالله، الذي هو كمال العمل[1].

بلاغة توالي المؤكِّدات في الآية الكريمة:

في الآية الكريمة جملة من المؤكِّدات، منها: حرف التَّأكيد (إنَّ)، وضمير الفصل المُؤكِّد ﴿أَنَا﴾، والإخبار بالاسم العلم الأعلى الدَّال على الذَّات الإلَهيَّة، والقصر الحقيقيُّ بالنَّفي والاستثناء في قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾، ولذلك كلِّه نُكتةٌ بليغة، فإنَّ تأكيد الجملة بحرف التَّأكيد (إنَّ) لدفع الشَّكِّ عن موسى، نَزَلَ منزلة الشَّاكِّ؛ لأنَّ غرابة الخبر تُعَرِّض السَّامعَ للشَّكِّ فيه، وتوسيطُ ضميرِ الفصل بقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ لزيادة تقوية الخبر، وليس بمفيد للقصر؛ إذ لا مقتضى له هنا؛ لأنَّ المقصود الإخبارُ بأنَّ المتكلِّم هو المسمَّى: الله، فالحملُ حَملُ مواطأة لا حملُ اشتقاق، وهو كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 72][2]، وأمَّا التَّعبير بالاسم العلم الأعلى الدَّالِّ على الذَّات العليَّة والمُعبِّر عن الإلَهيَّة، فللدِّلالة على أنَّ المتكلِّم قد جمع صفاتِ الكمال والجمال والجلال، وقد استحقَّ جميع المحامد؛ فحقيقٌ أن يُعبَد، وقَمِنٌ أن يُمَجَّد.

حقيق بالأحد الصَّمد أن يُعبَد، وحريٌّ أن يُعظَّم ويُمجَّد

دلالة تكرار ضمير المتكلِم المُفرد ﴿أَنَا﴾:

في تكرار ضمير المتكلِّم المفرد ﴿أَنَا﴾ دليلٌ على التَّفرُّد المناسب لمعنى الوحدانيَّة الذي سيقت لأجل تقريره الآيةُ؛ إذِ المقصود منه حصولُ العِلْم لموسى عليه السلام بوحدانيَّة الله تعالى[3]، فقوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ يدلُّ على أنَّ أوَّل واجب على المكلَّفين

لله سبحانه كمال الوحدانيَّة، وجلال الصَّمديَّة، وحقُّ الأُلوهيَّة

(1) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 6/ 418.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 200.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 200.

إنَّما هو أن يعلموا أنَّه لا إله إلَّا اللّه، وحدَه لا شريك له[1]، ويضاف إلى ذلك ما يتوشَّحُ به هذا الضَّمير من جلال العَظَمَة، وظلالِ الهيبة، وكمالِ السُّموِّ.

بلاغة التَّعبير بأسلوب القصر بالاستثناء بعد النَّفي:

أُكِّـدت عـبـارةُ التَّوحيدِ لكثرة منازعة الكافرين في ذلـك، على كرِّ الدُّهور ومرِّ العصور

في قول اللّه تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ قصرٌ مستفادٌ من مجيء الاستثناء بعد النَّفي، وهذا النَّوع منَ القصر أعمُّ أنواعِ القصر وأشملها؛ لأنَّه هاهنا نفى الأُلوهيَّةَ عن كلِّ أحد، وأثبتَها لنفسه سبحانه، فهذا أبلغ في التَّأكيد، إضافةً إلى ما تُفيده ﴿إِلَّآ﴾ من معاني الاختصاص[2]، وهذا الأسلوب يوجَّه عادة للمخاطَب المُنكِر، أو لمَن يُنَزَّل منزلتَه[3]، والمراد بالخطاب هنا قومُ موسى عليه السلام، وإن خوطب به هو، على غرار قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطّلاق: 1]، وإنَّما كان الأمر كذلك لأنَّ التَّوحيد هو أكثر ما نازع فيه الكافرون، ولا يخفى ما فعله بنو إسرائيل إذ عبدوا العجل بعد ما فرقَ اللّهُ تعالى بهمُ البحرَ فأنجاهم وأغرق آل فرعون وهم ينظرون!.

الموقع النَّحويُّ والبيانيُّ لقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾:

عـلَـت صـفـات اللـه تعـالى عن أن يتَّصف بها سواه، فلا كامل إلَّا الله

وقع قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ في موقع الخبر الثَّاني للحرف النَّاسخ، فهي جملة اسميَّة في محلِّ رفع خبر ثانٍ لـ(إنَّ)[4]، وقد حَسُن أن تأتي بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ لمَّا كان هذا الاسم العلم جامعًا لجميع معاني الأسماء الحسنى، التي علت عن أن يتَّصف بها أو بشيء منها حقَّ الاتِّصاف غيرُه تعالى، فلذلك حَسُن تعقيبُه بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾[5]، كما أنَّه يدلُّ على أنَّ عِلْم الأصول مقدَّم

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 277.
(2) السَّامرائيّ، معاني النّحو: 2/ 249.
(3) الرَّازيّ، نهاية الإيجاز، ص: 226.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 170، ومحمود صافي، الجدول: 8/ 353.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 277.

على عِلْم الفروع؛ لأنَّ التَّوحيد من علم الأصولِ، والعبادةَ من علم الفروع[1]، وفيه دليل على إبطال عبادة النَّصارى وغيرهم القائلين في الأصنام: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3]؛ لأنَّه ما ذَكَر العبادةَ إلَّا بعد تقديم التَّوحيد؛ فشرطُ المعبود وحدانيَّته[2].

توجيه المتشابه اللفظي بين آيات النمل والقصص وطه:

جاء النِّداء في كلِّ موضع مناسبًا لما ذُكر من أحداث القصَّة تفصيلًا وإجمالًا

اختلفت سياقاتُ القصَّة الكريمة في مواضعها منَ السّوَر الثَّلاث، ففي سورة طه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾، وفي سورة النّمل: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾ [النّمل: 9]، وفي سورة القصص: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ [القصص: 30].

فقد كان التَّركيز في سورة طه على بيان قصَّة موسى عليه السلام منذ أن ناجاه ربُّه جلَّ في علاه، وأرسله إلى فرعون وقومه بشيرًا ونذيرًا، إلى ذكر ما كان من بني إسرائيل من عبادة العجل، حيثُ بيَّنت مناظرتَه فرعونَ، ثمَّ اتِّهامَ فرعونَ إيَّاه بالسِّحر، ثمَّ أمرَه بجمع السَّحرة في يوم الزّينة، ثمَّ إيمانَ السَّحرة بموسى عليه السلام، ثمَّ بيانَ إهلاكِ فرعونَ وجنودِه، ثمَّ ما كان من بني إسرائيلَ من عبادة العجل الذي صنعه لهم السَّامريُّ لعنه الله.

أمَّا سورة القصص فقد كان التَّركيز فيها على بيان قصَّة موسى عليه السلام منذ ولادته، ثمَّ نشأتِه في قصر فرعونَ، ثمَّ هروبِه من مصرَ بعد قتلِه القبطيَّ بالخطأ؛ خوفًا من فرعون وملئه، ثمَّ عملِه أجيرًا عند الرَّجُل الصَّالح وزواجِه من إحدى ابنتيه، ثمَّ سيرِه بأهله إلى أن آنسَ من جانب الطّور نارًا، إلى أن أرسلَه الله تعالى مع أخيه إلى فرعون.

ولمَّا أوجزت سورةُ طه قصَّة موسى عليه السلام قبل الرِّسالة في مقابل

(1) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 19.
(2) ابن عرفة، تفسير القرآن: 3/ 141.

تفصيلها بعدها، أوجزت سورةُ القصص قصَّة موسى ﷺ بعد الرِّسالة في مقابل تفصيلها قبلَها.

أمَّا سورة النَّمل فقد اختُصِرت القصَّة فيها اختصارًا بحيثُ ذُكرت في ثماني آيات فقط، وهذا الذي تقدَّم يفسِّر سِرَّ تنوُّعِ التَّعبير في نداء موسى ﷺ في السّوَر الثَّلاث.

فقد بدأت القصَّة في سورة طه بقول الله تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ [طه: 9 - 10]، فلمَّا لم تذكر السّورةُ ما كان من موسى قبل المناجاة، فقد ناسب أن يُفصَّل فيها في التَّعريف بالذَّات الإلَهيَّة، فقال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: 11 - 12]، ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾.

وذُكر فيها عنوان الرُّبوبيَّة: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: 12]، وعنوان الأُلوهيَّة: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾، والأمر بالعبادة: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾، والإخبار عن السَّاعة: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾، وهذا كلُّه مناسب لما فُصِّل بعدَه مِن ذكر دعوة موسى لفرعون، ومناظرته إيَّاه، بل إنَّه ناسب أيضًا ما فُصِّل مِن قصَّة العجل في آخر السّورة الكريمة.

أمَّا في سورة القصص فقد بدأت القصَّة بقوله تعالى: ﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [القصص: 3]، ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾ [القصص: 7]، فلمَّا ذَكَرتِ السّورة حالَ موسى ﷺ مع ربِّه جلَّ ذكره قبلَ الرِّسالة، ودعاءَه إيَّاه في غير ما موقف، وذلك إذ قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ [القصص: 16]، وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٧﴾ [القصص: 17]، وقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢١﴾ [القصص: 21]، وقال: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝٢٢﴾ [القصص: 22]، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ۝٢٤﴾ [القصص: 24] - لمَّا ذكرتِ السّورةُ حالَ موسى ﷺ مع ربِّه ﷻ قبلَ أن يُشَرِّفَه اللهُ بالنُّبوَّة ويكلِّفَه بالرِّسالة، فقد ناسب أن يُجمَل فيها تعريف الذَّات الإلَهيَّة العليَّة، فقال سبحانه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ [القصص: 30]؛ أي: أنا ربُّك الذي كنتَ تدعوه وترجوه، وأنا ربُّك الذي حفظَكَ وليدًا، وربَّاك صغيرًا، ونجَّاك من القوم الظَّالمين، وأغناك بالمأوى والمال والزَّوجة، وهذا أيضًا مناسبٌ لما أُجمِل بعدَه من دعوة موسى ﷺ لفرعون وقومه، فجاء النِّداء في كلِّ موضع بما يناسبه ممَّا ذُكر منَ القصَّة تفصيلًا وإجمالًا.

أمَّا قوله تعالى في سورة النّمل: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾ [النمل: 9] فقد كان مسبوقًا بقوله تعالى: ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨﴾ [النمل: 8]، فقد تقدَّمه ذِكرُ الرُّبوبيَّة، غير أنَّه أوثرَ التَّعبيرُ بالعزيز والحكيم في هذا الموضع الذي أوجز القصَّة وأجملها واختصرها لنُكتة، وهي أنَّ "تقديم هذا بين يدي ما سيُلْقى إليه منَ الأمر؛ لإحداث رباطة جأشٍ لموسى، ليعلم أنَّه خُلعت عليه النُّبوَّة إذ ألقيَ إليه الوحي، ويعلم أنَّه سيتعرَّض إلى أذًى وتألُّبٍ عليه، وذلك كنايةً عن كونه سيصير رسولًا، وأنّ الله يؤيِّدُه وينصره على كلِّ قويٍّ، وليعلمَ أنَّ ما شاهد منَ النَّار وما تلقَّاه منَ الوحي وما سيشاهده من قلب العصا حيَّةً ليس بعجيب في جانب حكمة الله تعالى، فتلك ثلاثُ كنايات؛ فلذلك أُتبع هذا بقوله: ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾ [النّمل: 10]"[1].

ويضاف إلى ذلك أنَّ سورة النّمل ذُكِر فيها قصصُ موسى، وداود، وسليمان، وصالح، ولوط ﷺ، وبيَّنت السّورةُ ما أنزله اللّهُ تعالى بالكافرين منَ العقوبات، وإنجاءَ الأنبياء ومَن آمن معهم، ثمَّ أتبعت ذلك بذِكْر جملةٍ من دلائل الألوهيَّة وأهوال القيامة.

ويُلحظ أنَّ هذه القصص المذكورة قد بُدِئت بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النّمل: 6]، وقد عُقِّبت بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ۝٧٦ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٧٧ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٧٨﴾ [النمل: 76 - 78]، فتكرّر ذِكْر العزيز والحكيم، وهذا ملحوظ في إهلاك الكافرين وأخذهم بقوَّة، وفي دلائل الألوهيَّة، وفي إنزال القرآن، فجيء فيه بما يناسبه.

اختصاص الإلَهيَّة بالله سبحانه موجبٌ لتخصيصه تعالى بالعبادة

معنى الفاء ودلالتُها في ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾:

لَمَّا تسبَّب عن الإخبار بالوحدانيَّة وجوبُ إفرادِ الله سبحانه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 227.

بالعبادة، قال: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾؛ أي: وحدي[1]، فالفاء فيه لترتيب المأمورِ به على ما قبلَها؛ فإنَّ اختصاص الأُلوهيَّة به ﷻ مِن موجبات تخصيصِ العبادة به ﷻ[2]، فقد دلَّت الفاء على أنَّ إلَهيَّته سبحانه هي التي ألزمت العبادة[3]، وهذا هو تحقيق العلماء: أنَّ الله ﷻ هو المستحقُّ للعبادة[4].

دلالة الأمر في: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾:

الأمر في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ على حقيقته لأنَّه صادر منَ الأعلى إلى الأدنى، فهو لطلب حصول فعل المخاطَب، على وجه الاستعلاء والتَّكليف[5]، وغرضُه هنا النُّصح والإرشاد.

الأمر للنُّصح والإرشاد، بالتَّوجيه لتوحيد ربِّ العباد

علَّة عطف قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ على سابقه:

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ معطوف على قوله سبحانه: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ ويُعْرَبُ إعرابَه[6]، وهو من قبيل عطف الخاصِّ على العامِّ[7]، والمعنى: (أي حافظْ بعد التَّوحيد على الصَّلاة)، وهذا تنبيه على عظم قدر الصَّلاة، إذ هي تضرُّعٌ إلى الله تعالى، وقيامٌ بين يديه، وعلى هذا فالصَّلاة هي الذِّكر، وقد سمَّى الله تعالى الصَّلاة ذكرًا في قوله: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: 9][8]، وقد حَسَّن الوصلَ هاهنا اتِّحادُ الجملتين في الإنشائيَّة، وكون كلٍّ منهما مصدَّرةً بفعل أمر موجَّه إلى مخاطَب مفرد، وليس ثمَّ ما يدعو للفصل بينهما، وهذا ما يُعرف بالتَّوسُّط بين الكمالين.

منتهى العِلم هو التَّوحيد، وكمال العمل في عبادة ذي العرش المجيد

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 277.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 8، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 485.
(3) الطّيبيّ، حاشية على الكشَّاف: 10/ 143.
(4) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 19.
(5) حسن طبل، علم المعاني في الموروث البلاغيّ، ص: 62.
(6) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 170، ومحمود صافي، الجدول: 8/ 353، وبهجت صالح، الإعراب المفصّل: 7/ 82.
(7) الطّيبيّ، حاشية على الكشَّاف: 10/ 147.
(8) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 177.

فائدة الأمر بإقامة الصَّلاة دون الأمر بها مجرَّدًا:

في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أمر بإقامة الصَّلاة لا بالصَّلاة مجرَّدة، فلم يقل: (صلِّ)، بل: أقم الصَّلاة)، ذلك أنَّ كلَّ موضعٍ مَدَح اللهُ تعالى فيه بفعل الصَّلاة أو الحثّ عليها ذُكِرَ بلفظ الإقامة، نحو: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [النّساء: 162]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: 43]، ولم يقل: (المصلّين) ونحوها مما لم يتصل بلفظ الإقامة، إلَّا للمنافقين، نحو قوله: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: 4 - 5]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ﴾ [التّوبة: 54]، وإنَّما خصَّ الصلاة بلفظ الإقامة تنبيهًا على أنَّ المقصود من فعلها توفيةُ حقوقِها وشرائطها، لا الإتيانُ بهيئتها فقط[1]، فقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ مِن أقامَ الشَّيءَ؛ أي: جعله قائمًا على أسسٍ مُحْكَمة، فإقامة الصَّلاة أن تُؤدَّى مُحْكَمَةً، كاملةَ الأركان غير ناقصة[2].

المقصود من إقامة الصَّلاةِ توفيَةُ حقوقِها وشرائطها، لا الإتيانُ بهيئتها فقط

بلاغة الاستعارة في قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ استعارةٌ مَكْنِيَّة، حيثُ شُبِّهت الصَّلاة ببناء لا بدَّ أن يُقام على أركان ودعائم، هي أركانها وشرائطها وحدودها ومواقيتها، فحُذِفَ المُشَبَّه به، وهو البناءُ أو الصَّرح، وأتى بأحد لوازمه وهو الإقامة، على سبيل الاستعارة المكنيَّة، وفي هذا ما فيه من تعظيم أمر الصَّلاة لدى المخاطَبين، وأنَّها ممَّا يجب أن تُرفَع.

لا بدَّ لصرح الصَّلاة أن يُؤسَّس على دعائم الإيمان، ويُرفَع بلبنات التَّقوى والإحسان

سرُّ إفراد الصَّلاة بالأمر مع اندراجها في الأمر بالعبادة:

عُطِفَ الأمر بإقامة الصَّلاة على الأمر بالعبادة في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وتخصيصُها بالذِّكْرِ مِن بينِ سائر

الصَّلاة تاج العبادات، وأمُّ الطَّاعات، وأصل القُرُبات

(1) الرَّاغب، المفردات: (صلا).
(2) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 15/ 9242.

العبادات، وإفرادها بالأمر مع اندراجها في الأمر بالعبادة، تنبيهٌ على فضلِها وشرفها وإنافتها على الجميع، كعطف جبريل وميكال على الملائكة في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [البقرة: 98]، ولذلك عَلَّلَ إفرادَها بالذِّكر بقوله: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾، فإنَّها توجِبُ شغلَ القلبِ واللِّسانِ بذِكْر الله تعالى[1]، فقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ من باب عطفِ الخاصِّ على العامِّ لفضله[2]؛ لأنَّ الصَّلاة تجمع أحوالَ العبادة[3]، فجُعِلت جنسًا أشرفَ وأعلى من سائر العبادات، ثمَّ نيط بها الذِّكر للعِلِّيَّة؛ ليُؤْذِن بأنَّ الذِّكر مُخُّ العبادة[4]، فضلًا عن أنَّ الصَّلاة هي العبادة الدَّائمة التي لا تنحلُّ عنِ المؤمن، فلا عُذْرَ يبيح تركَها، كذلك فهي عبادة متكرّرة: خمسُ مرَّات في اليوم واللَّيلة، وذلك بخلاف العبادات التي تسقط بالمَشقَّة، ولا تتكرَّر في الحَول[5].

معنى اللَّام ودلالتها في ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾:

اللَّام في قوله تعالى: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ للتَّعليل[6]؛ أي: (أقم الصَّلاة لأجل أن تذكرني)؛ لأنَّ الصَّلاة تُذَكِّر العبدَ بخالقه، إذ يستشعر أنَّه واقف بين يدي الله لمناجاته، ففي هذا الكلام إيماءٌ إلى حكمة مشروعيَّة الصَّلاة[7]، فإذا ذُكرت الصَّلاة بادرت الحِكمة في شرعيَّتها في الذِّهن، فتكون الحكمة حاملة للمكلَّف على إقامتها، فصحَّ أن يكون وجودُ ذِكْرِ الله سببًا لإقامة الصَّلاة[8]، وفي تعليل الأمر بإقامة الصَّلاة بقوله: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ الذِّكر الكامل

الذِّكر الكامل لا يتحقَّق إلَّا ضمن العبادة والصَّلاة، حيثُ مناجاة العبدِ مولاه

(1) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 6/ 419، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 485.
(2) البروسويّ، روح البيان: 5/ 371.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 200.
(4) الطّيبيّ، حاشية على الكشّاف: 10/ 142.
(5) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 15/ 9240.
(6) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 503.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 201.
(8) الطّيبيّ، حاشية على الكشّاف: 10/ 144.

لا يتحقَّق إلَّا في ضمن العبادة والصَّلاة[1]، ويجوز أن تكون اللَّام أيضًا للتَّوقيت؛ أي: أقمِ الصَّلاة عند الوقت الذي جعلتُه لذِكري[2].

الموقع النَّحوي والبياني لشبه الجملة ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾:

قوله تعالى: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ الظَّاهر أنَّه متعلِّق بـ﴿وَأَقِمِ﴾؛ أي: أقم الصَّلاة لتَذكرني فيها؛ لاشتمالها على الأذكار، وقريب منه ما قيل: أي لتكون لي ذاكرًا غيرَ ناسٍ، فعلَ المخلصين، في جَعْلهم ذِكْرَ ربِّهم على بالٍ منهم، وتوكيلِ هممهم وأفكارهم به، وفُرِّقَ بينهما بأنَّ المراد بالإقامة على الأوَّل: تعديلُ الأركان، وعلى الثَّاني: الإدامة، وجُعلت الصَّلاة في الأوَّل مكانًا للذِّكر ومقرَّه وعلَّته، وعلى الثَّاني جُعلت إقامة الصَّلاة - أي: إدامتها - علَّة لإدامة الذِّكر، كأنَّه قيل: أَدِم الصَّلاةَ لتستعين بها على استغراق فكركَ وهمِّك في الذِّكر، كقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: 45][3].

جُعلت الصَّلاة علَّة للذِّكر ومقرًّا، فكانت لنعيم القلوب مستقرًّا

دلالة التَّعبير بـ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ من حيثُ مادَّتُها وصيغتها:

الذِّكر: تارة يقال ويُراد به هيئة للنَّفْس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه منَ المعرفة، وهو كالحِفظ إلَّا أنَّ الحفظ يقال اعتبارًا بإحرازه، والذِّكر يقال اعتبارًا باستحضاره، وتارةً يقال لحضور الشَّيءِ القلبَ أو القولَ، ولذلك قيل: الذِّكر ذِكران: ذِكْر بالقلب، وذِكْر باللِّسان[4]، وفي مجيئه على صيغة المصدر دون الفعل مبالغة وتأكيد؛ ذلك أنَّه جُرِّد عنِ الزَّمن الذي يصرفه لوقت دون وقت.

الذِّكر استحضار وتجديد، ومجيئه على صيغة المصدر مبالغةٌ وتأكيد

نُكْتةُ إضافةِ الذِّكر إلى ضمير المتكلِّم في: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾:

قوله تعالى: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ يجوز أن يكون المصدر مضافًا لفاعله؛ أي: لأنّي ذكرتُها في الكتب، أو لأنّي أذكركَ، ويجوز أن يكون مضافًا

في إضافة الذِّكر لضمير المتكلِّم معنى الإخلاص، والتَّرفُّع عن مراءاة النَّاس

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 423، وابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 378.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 201.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 485.
(4) الرَّاغب، المفردات: (ذكر).

لمفعوله؛ أي: لأنْ تذكرَني[1]، وفي إضافته للمفعول ما يدلُّ على أنَّها مُخُّ العبادة وفصُّها[2]، وفيه كذلك معنى الإخلاص؛ أي: أقم الصَّلاة لذِكري خاصَّةً، لا تشوبه بذِكر غيري، أو لإخلاص ذكري وطلب وجهي، لا تُرائي بها ولا تقصد بها غرضًا آخر[3].

(1) السّمين، الدّرّ المصون: 8/ 19.
(2) الشّهاب، حاشية على البيضاويّ: 6/ 192.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 55.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»